لمحات من مظاهر التطور العمراني لمكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز

أ. د. عادل بن محمد نور غباشي
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية - كلية الشريعة - جامعة أم القرى

مكة المكرمة البلد الحرام، أحب بلاد الله إلى الله، وأحبها إلى رسول الله ﷺ، قبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم، ومأوى حجهم، ومجمع وفودهم، وملتقى جموعهم، حرمها الله تعظيماً وإجلالاً يوم خلق السموات والأرض، بها الكعبة أول بيت وضع لعبادة الله على الأرض. وللبيت العتيق جعل الله حرماً لتعظيمه، فجعل فيه الأمان حتى شمل ما فيه من الشجر والنبات فلا يقطع، وما فيه من الطير فلا ينفر ولا يصاد، وجعل ثواب الأعمال فيه أفضل من ثوابها في غيره، والصلاة فيه بمئة ألف صلاة. ومن عظمة البيت أخذت مكة المكرمة عظمتها، ومن حرمته كانت حرمتها، ومن أمانه كان أمانها، أقسم الله بها لينبه على عظمة قدرها(١).

---

(١) لمزيد من المعلومات عن مكانة مكة المكرمة وحرمتها انظر: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة المكرمة وما جاء فيها من الآثار، ط٤ (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص ١٢١-١٣٢، الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء (مكة المكرمة: مكتبة الباز، د. ت)، ج١، ص ٦٧-٩٠، المالكي، محمد بن علوي بن عباس، في رحاب البيت الحرام، ط٣ (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مطابع سحر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، البلد الحرام فضائل وأحكام، ط١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، سلسلة الرسائل التوجيهية، ١٤٢٤هـ)، ص ٩-٩٦، المباركفوري، الشيخ، صفي الرحمن، تاريخ مكة المكرمة، ط١، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٨-١٩.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٣٦هـ، السنة الحادية والأربعون

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن إبراهيم عليه السلام بعد أن أسكن ولده إسماعيل وزوجه هاجر عليهما السلام دعا لأهل هذا البلد وسكانه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٢).

وقد أجاب الله سبحانه وتعالى دعوة إبراهيم عليه السلام، فأخذ البلد الحرام المكانة السامية، والمرتبة العالية، والدرجة الرفيعة عند الله ورسوله محمد ﷺ والمسلمين كافة، وأخذ عمرانه في التطور عبر عصور الإسلام إلى أن جاء عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، فواصل المسيرة في الاهتمام والعناية بالبلد الحرام، مما جعل عمرانه يتسع ويتطور عما سبق. وهذا ما سوف نتتبعه عبر محاور هذا البحث.

أولاً: عوامل التطور العمراني لمكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز

يسّر الله سبحانه وتعالى للملك عبدالعزيز ضم مكة المكرمة إلى حكمه عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م(٣)، وقد أولاها عناية واهتماماً خاصاً، وظهر أن هذه المدينة المقدسة قد اتسعت وتطور عمرانها، وزادت مرافقها بشكل كبير عما كانت عليه في نهاية العصر العثماني(٤)، مما يتطلب تتبع عوامل تطورها والكشف عنها، وربما يكون أهم هذه العوامل ما يأتي:

أ- الأمن:

اعتمد عمران مكة المكرمة عبر تاريخها على تحقق الأمن فيها إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ

---

(٢) سورة إبراهيم الآيات ٣٥-٣٧.

(٣) السباعي، أحمد، تأريخ مكة، ط ٦ (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٦٤٠.

(٤) انظر ما ورد في المحور الثاني والثالث والرابع من هذا البحث.

اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(٥)، وأكرم الله قريشاً سكان مكة المكرمة بنعمتين عظيمتين من نعمه الكثيرة هما: نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار(٦)، قال تعالى: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(٧).

ويستدل من هذه السورة الكريمة أن الله سهل على قريش ويسر لهم القيام برحلاتهم التجارية، وهم آمنون مطمئنون من أن يتعرض لهم أحد بسوء؛ لأن الناس كانوا يقولون: هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه، وهم أهل الله؛ لأنهم ولاة الكعبة، فلا تؤذوهم ولا تظلموهم. ولما أهلك الله أصحاب الفيل ورد كيدهم في نحورهم ازداد وقع أهل مكة المكرمة في القلوب، وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم(٨).

وهكذا فإن ما خص الله البلد الحرام من تكريم وتعظيم وحرمة(٩) قد شكّل أساس الأمن الذي أثر كثيراً في اجتذاب الناس للاستقرار بالبلد الحرام، ومن ثم تنامي عمرانه(١٠).

ومعلوم أن ثمة عوامل أخرى كانت تؤثّر في بعض الفترات التاريخية سلباً على عمران مكة المكرمة، فيقل عدد سكانها، وتتعطل

---

(٥) سورة إبراهيم آية ٣٥.

(٦) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط٤ (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ج٣، ص ٦٠٦.

(٧) سورة قريش.

(٨) الصابوني، صفوة التفاسير، ج٣، ص ٦٠٦.

(٩) راجع ما ورد عن ذلك في مقدمة الدراسة.

(١٠) لمزيد من المعلومات عن أهم العوامل المؤثرة في زيادة ونقصان عدد سكان مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام انظر: غباشي، عادل بن محمد نور، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني دراسة حضارية (رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة أم القرى، ١٤١٠هـ)، ص ٥٣-٦٣.

دورة نموها الحضاري، ومن ذلك أن الفترة السابقة على العهد العربي السعودي شهدت بعض الاضطرابات خاصة في الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة، هذا إلى ما ذكره البتنوني عن الوضع السائد في أيامه (قبل العهد السعودي)، إذ أشار إلى أنه كثير ما تحدث في أوقات تحميل القافلة وتنزيلها سرقات من الجمّالة أنفسهم، وقد يتفق جمّالك مع جمّال آخر، يحضر في هذا الوقت الذي يلهيك فيه بصريخه وصياحه، في حين ينقض الآخر على (عفشك)، ويسرق منه ما تصل إليه يده، حتى إذا هدأ روعك شعرت بما نقص من متاعك، وهناك يعود الصياح... وهكذا بعد هرج ومرج من غير فائدة يسكت الصائحون شاكين أمرهم إلى الله(١١)، أما ما لاقاه الحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة فالأمثلة عليه كثيرة منها ما ذكره الضابط الروسي عبدالعزيز دولتشين في رحلته السرية إلى مكة المكرمة عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، إذ أشار إلى اضطراب الأمن في الطريق بين مكة المكرمة وجدة، وأن قطاع الطريق قتلوا اثنين من الجنود القائمين على حفظ الأمن، مما زرع الذعر في قلب رفيق لهم؛ فهرب وأخبر بما حدث، هذا علاوة على حوادث السلب والقتل المتكررة(١٢)، وما أخبر عنه اللواء إبراهيم رفعت الذي حجّ في أعوام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م(١٣).

وبعد ضم مكة المكرمة إلى حكم الملك عبدالعزيز بدأ عهد جديد من العناية بالبلد الحرام لتأكيد تحقيق أمنه، فأعلن القضاء على

---

(١١) البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، ط٣ (الطائف: مكتبة المعارف، د. ت)، ص ٢١٨.

(١٢) ريزفان، يفيم، الحج قبل مئة سنة، ط١ (بيروت - لبنان: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٢٠٥-٢٠٦، ولمزيد من الأمثلة عن اضطراب الأمن انظر: الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز (الرياض: مطابع الإشعاع، التجارية، د. ت)، ص ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠.

(١٣) رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (القاهرة، ١٩٢٥م) ج١، ص ٦٤-٧٤، ج٢، ص ٧٠-٧٦، ٢١٠.

الرشوة والفساد والاستبداد(١٤)، ووضع سياسته لتأمين الناس واستقرار الأوضاع وتطبيق الشريعة(١٥)، فجاء في خطابه الأول قبل دخول مكة: "إني مسافر إلى مكة المكرمة مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة وتأييدها"(١٦)، وقال في خطابه الأول بمكة المكرمة: "إني أبشركم بحول الله وقوته أن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وإني إن شاء الله تعالى سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة، ويجلب الراحة والاطمئنان لها"(١٧).

واستناداً إلى ذلك فقد أخذ الملك عبدالعزيز منذ حكمه لمكة المكرمة مباشرة ببعث الجنود للمحافظة على أمنها، ونظّم أعمال الشرطة بقيام مجلس الشورى بوضع المواد الخاصة بها ووظائفها، واجتمع مع وفود القبائل لأخذ التعهد عليهم بالتزام الأمن وعدم التعرض للحجاج(١٨). وأعلن نداءً إلى جميع المسلمين لإعلامهم باستقرار الأمن في الحجاز، والترحيب بقدومهم لأداء فريضة الحج، ضامناً سلامتهم وراحتهم بأمر الله(١٩). وعندما قامت بعض القبائل بقطع الطرق في عسفان بعث لهم سرية عسكرية لتأديبهم، وأعلن منع حمل الأسلحة ونقلها في مكة المكرمة(٢٠).

---

(١٤) الفوزان، إبراهيم فوزان، إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة (الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٩٦.

(١٥) عسه، أحمد، معجزة فوق الرمال، ط ٣ (د. ن، ١٣٩١-١٣٩٢هـ/ ١٩٧١-١٩٧٢م)، ص ٩١، ٩٥، ٩٦، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤.

(١٦) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ج١، ص ٣٣٥.

(١٧) الزركلي، شبه الجزيرة، ج١، ص ٣٣٥.

(١٨) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، القسم الأول: ١٣٤٣-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، جـ١، ص ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٥٦.

(١٩) صحيفة أم القرى، السنة الأولى العدد (١٢) بتاريخ ١٣٤٣/٨/٣هـ الموافق ١٩٢٥/٢/٢٧م.

(٢٠) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص ٢٠، ٢٦.

وشعوراً بالأمن الذي تحقق بفضل الله، فقد نشرت صحيفة أم القرى مقالاً عن الأمن في الحجاز ماضيه وحاضره ومستقبله لأحد كتّابها، ومما ورد فيه(٢١):

وانطلاقاً من مواصلة الملك عبدالعزيز في العناية بالأمن في البلد الحرام والطرق المؤدية إليه وتحقيق المساواة للجميع، فقد عمل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م على استدعاء رؤساء القبائل في الحجاز، وقسم عليهم طرق الحج، وألزمهم بحفظ أمنها، وأمرهم بمنع التهريب في المناطق الساحلية، وقام مجلس الشورى في هذا العام نفسه بتشكيل لجنة للنظر في تنظيم جنود الشرطة ومعاقبتهم في حال مخالفتهم للنظام(٢٢). وتتابعت العناية بالأمن في عهده محققة إنجازات عظيمة لخدمة سكان مكة المكرمة وحجاج وعمار بيت الله الحرام(٢٣)، مما أسهم بشكل كبير في زيادة وفود الحجاج لشعورهم بالراحة والأمن، وازدياد عدد السكان، وهو ما تطلب زيادة رقعة النسيج العمراني، وزيادة عدد المرافق المخصصة لخدمة السكان والوافدين في البلد الحرام.

ب - الوازع الديني في شخصية الملك عبدالعزيز:

ولد الملك عبدالعزيز وعاش المرحلة الأولى من طفولته في الرياض، وقد عهد به أبوه الإمام عبدالرحمن إلى القاضي عبدالله الخرجي، من علماء الخرج فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن الكريم، وقرأه كاملاً على الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف(٢٤)،

---

(٢١) صحيفة أم القرى، السنة الأولى العدد (٥) بتاريخ ١٤/٦/١٣٤٣هـ الموافق ٩/١/١٩٢٤م.

(٢٢) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ١، ص ٥٦، ٥٧، ٨٠، ٨١.

(٢٣) لمزيد من التفصيل في ذلك انظر: الأحيدب، ظاهرة الأمن، ص ٥٥-٨٧، ١٠٦-١١٣، ١٣٥-١٧٩.

(٢٤) الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م)، ص ١٧.

وتنقل مع أبيه في بعض المناطق الصحراوية والمدن، وخالط الحكام والساسة والمفكرين والعلماء والفقهاء(٢٥)، فنشأ متخذاً من عقيدة الإسلام منهجاً لأعماله كافة، متأسياً بسيرة الرسول ﷺ في محبة مكة المكرمة(٢٦) التي اختصها الله ببيته الحرام ومشاعره المقدسة. وما ورد عن فضلها كثير، منه قول الرسول ﷺ لعتّاب بن أسيد حين ولاه أمرها: "عن ابن جريج قال: أخبرني معاذ بن أبي الحارث أن النبي حين استعمل عتاب بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على مكة المكرمة قال: "هل تدري على من استعملتك؟ استعملتكم على أهل الله".

وقال ابن أبي مليكة: إن النبي ﷺ قال: لقد رأيت أسيداً في الجنة وأنى يدخل أسيد الجنة، فعرض له عتاب بن أسيد، فقال: هذا الذي رأيت، ادعوه لي، فدعاه فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال لعتاب: أتدري على من استعملتك، على أهل الله فاستوص بهم خيراً، يقولها ثلاثاً"(٢٧). وقوله ﷺ مخاطباً مكة المكرمة يوم الهجرة: "حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن عقيل عن الزهري عن أبي سلمة عن عبدالله بن عدي بن حمراء (الزهري) قال رأيت رسول الله واقفاً على الحزورة،

---

(٢٥) الشهيل، عبدالله بن محمد، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة (١٣٣٣-١٣٥١هـ/ ١٩١٥-١٩٣٢م): دراسة تاريخية تحليلية، ط١ (الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٤٤-٤٧.

(٢٦) لمزيد من التفصيل في بيان اعتماد الملك عبدالعزيز على منهج الإسلام في أقواله وأعماله انظر: التميمي، محمد أمين، لماذا أحببت ابن سعود (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٩٣-١٠٢، ١٠٦-١١١، الشيخ، رأفت، تاريخ العرب المعاصر، ط٣ (جمهورية مصر العربية: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٧٥-٧٧، ٨٢، ٨٣، ياسين، يوسف، الرحلات الملكية (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص ١٧-٢٣، ٦٨، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩١، الخضيري، محمد بن سليمان بن عبدالعزيز، جذور الإدارة المحلية في المملكة العربية السعودية، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار السابع، صفر ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠٠م)، ص ٣٩ - ٥٢.

(٢٧) الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة المكرمة وبيت الله الكريم، ط١، ج١ (بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)، ص ٥١٠.

فقال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرِجت منك ما خرجت"(٢٨).

ومن هذه السيرة العطرة لسيدنا ورسولنا محمد ﷺ تظهر محبة الملك عبدالعزيز لمكة المكرمة، وبذله الجهود كافة لتطوير عمرانها، حيث قال في خطاب له عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م: "إن هذا الوطن المقدس يوجب علينا الاجتهاد فيما يُصلح أحواله، وإننا جادون في هذا السبيل قدر الطاقة حتى تتم مقاصدنا في هذه الديار، وتكمل للمسلمين جميعاً راحتهم وأمنهم، وتتم لجميع الوافدين لمنازل الوحي المساواة في الحقوق والعدل"(٢٩).

وأخذت مراحل التطوير العمراني تتتابع بإتقان منطلقة من المتابعة الدؤوبة، فها هو يقول في شهر ربيع الأول عام ١٣٤٦هـ/ ديسمبر ١٩١٧م في خطاب ألقاه في اجتماع بالموظفين في الديوان الملكي بأجياد بمكة المكرمة: "تعلمون أن أفضل الأعمال كلمة حق تقال، وأن أضل الأعمال معرفة الحق وإهماله، والمجالس يجب أن تكون للنصيحة والإرشاد، نحن نريد أن نسير إلى الأمام ولكن بأقدام ثابتة وعلى ضوء النهار، إن رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام يجب أن يكون وفق ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه السلف الصالح، فما كان موافقاً للدين في أمور الدنيا سرنا عليه، وما كان مخالفاً للدين نبذناه. والموظفون هم المكلفون بتبيان هذه الحقائق، بيد أن ذلك لا يكفي، وإنما يجب أن يقرن القول بالعمل"(٣٠).

حظيت مكة المكرمة بمكانة سامية جعلت تطورها العمراني يحتل مكان الصدارة

وبذلك حظيت مكة المكرمة بمكانة سامية جعلت تطورها العمراني يحتل مكان الصدارة؛ ليحقق راحة سكانها والوافدين إليها من كل فج عميق.

---

(٢٨) الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، باب في فضل مكة، رقم الحديث ٣٩٢٥، ط١، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، محرم ١٤٢٠هـ)، ص٢٠٥٢.

(٢٩) دارة الملك عبدالعزيز، مختارات من الخطب الملكية، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، جـ١، ص٣٢.

(٣٠) دارة الملك عبدالعزيز، مختارات من الخطب الملكية، جـ١، ص٣٨.

ج- الوحدة:

إن الحديث عن سيرة الملك عبدالعزيز وجهوده الخيرة في تحقيق الوحدة لشبه الجزيرة العربية حظي بعشرات المؤلفات، فهو غني عن التعريف، ونكتفي هنا بذكر لمحة مختصرة للتعريف بجهوده الكبيرة في تحقيق الوحدة، مما يبرز علاقتها بمكة المكرمة وتطورها العمراني.

فقد بدأ مسيرته الحضارية لتوحيد أرجاء شبه الجزيرة العربية باسترجاعه الرياض في ١٣١٩/١٠/٥هـ الموافق ١٩٠٢/١/١٥م(٣١)، ثم تابع أعماله العسكرية خارج مدينة الرياض إلى أن استطاع - بفضل الله - لمّ شمل المملكة العربية السعودية، فأصبحت حدودها شرقاً الخليج العربي وغرباً البحر الأحمر وشمالاً العراق والأردن وجنوباً اليمن(٣٢).

وخلال تلك المسيرة كان ضمه لمكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م منطلقاً لتوحيد مختلف أرجاء الحجاز، مما أثمر الخير - بفضل الله - في إفادة البلد الحرام من واقع هذه الوحدة، حيث بدأت الوفود من رجال قبائله ومدنه بالوفود على الملك عبدالعزيز معلنة الطاعة والانضمام إلى وحدته، لقيام كيان أمة مستقل يشكل منطلقاً جديداً لعطاء الحضارة في شبه الجزيرة العربية، وكان منها وفد ابن مبيريك صاحب رابغ، ووفد من قبيلة حرب المقيمين بين رابغ وجدة، واستجاب الشريف عبدالله بن حمزة أمير القنفذة والليث للأمر، فأعلن طاعته وتوجه إلى مكة المكرمة، وأعلنت قبائل العرب المقيمة حول المدينة المنورة انضمامهم إلى الملك عبدالعزيز والدخول في طاعته(٣٣). وتجسيداً للوحدة والعمل على تحقيقها؛ فقد أمر الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م بتعيين عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً على الطائف، وضم تربة ورنية وبيشة إلى

---

(٣١) الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ط٦ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م)، ص ١٢٦.

(٣٢) وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب (الرياض ١٣٨٤هـ)، ص٢٦.

(٣٣) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ١، ص٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩.

الليث ضمن حدود الطائف، ووصله في هذا الوقت وفود من قبائل زبيد وبني عمر والأشراف بني حسن معلنين عهدهم بالتزام السمع والطاعة. وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م التقى الملك عبدالعزيز بعض مشايخ قبيلتي حرب وجهينة الراغبين في الانضمام إلى وحدته والدخول في طاعته، وقد قدموا العهود والمواثيق لتأكيد رغبتهم، ووصله خبر رغبة الحامية العسكرية المقيمة في المدينة إلى الدخول في الطاعة له والانضمام إلى حكمه، فوافق على ذلك وبعث ابنه محمداً لتسلم المدينة المنورة(٣٤). وفي يوم الخميس ١٣٤٤/٥/١هـ الموافق ١٩٢٥/١٢/١٧م وقع الملك عبدالعزيز على اتفاقية تسلم جدة وضمها إلى حكمه سلماً(٣٥)، فتلاها باقي مدن الحجاز ينبع والوجه والعلا(٣٦).

وفي ١٣٤٤/٥/٢٢هـ الموافق ١٩٢٦/١/٧م، عقد أهل الحجاز مؤتمراً ضم أعيان مكة المكرمة وعلماءها وأهل جدة ووجهاءها، وقرروا فيه بإجماع الرأي مبايعة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملكاً على الحجاز، وعرضوا عليه نص البيعة، فأجاب الطلب، وتم اجتماع الناس عند باب من الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة، ووصل السلطان عبدالعزيز، وتقدم الخطيب، وتلا نص البيعة على مسامع الحاضرين: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبايعك يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والسلف الصالح، والأئمة الأربعة رحمهم الله"(٣٧)، ثم

---

(٣٤) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص٣٠، ٦٤، ٦٥.

(٣٥) سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، جـ٢، ص١٧٧-١٨١.

(٣٦) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ١، ص٧١-٧٣.

(٣٧) هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، ط٢ (د. ن، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١٥٠، سعيد، تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص ١٨٢-١٨٤.

أخذ عدد من الدول كالاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا وهولندا وسويسرا في الاعتراف بالملك عبدالعزيز بوصفه ملكاً على الحجاز وسلطاناً لنجد وملحقاتها(٣٨). واستمر في أعمال وحدته إلى أن تم ضم عسير ومدن تهامة كنجران وجازان، وصدر مرسوم سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م بتوحيد أجزاء المملكة، وأن تسمى "المملكة العربية السعودية، ويكون ملكها ملك المملكة العربية السعودية"(٣٩).

وبذلك أضحت مكة المكرمة ضمن وحدة سياسية وجغرافية شملت معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية، متخطية بذلك عوامل التفرقة السابقة(٤٠)، مستفيدة من معطيات هذا الوضع الجديد، الذي سهل على السكان التنقل والاتجار والتوسع في العمران، وبدأت التجارة في التوسع مع مناطق نجد وعسير(٤١)، مما عاد بمردود مادي أسهم في مرحلة التطور العمراني، وهذا ما سوف نناقشه في الفقرة الآتية.

د- تطور الحركة التجارية والإفادة من ثروة النفط:

يظهر من تتبع تاريخ التجارة بمكة المكرمة منذ عصر ما قبل الإسلام أن أهلها اعتمدوا على التجارة موردًا أساسيًا في الحصول على الأموال التي حققت لهم العيش في البلد الأمين، وكان من أهم أسباب نمو التجارة بها وجود الأمن وتأمين الحجاج وإكرامهم، فإذا اختل أحد هذين الشرطين أو كلاهما تختل موازين التجارة، ويشيع

---

(٣٨) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ١، ص٨٢، ٨٤، ١٢٣، ١٢٥.

(٣٩) هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٦٧-١٧٧، ١٨٠-١٨٤، سعيد، تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص١٨٤، ١٨٩-١٩٣، ٣٦١-٣٨٩، دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ٢، ص١٢٣، ١٣٢، ٣٠٥، ٣١٩، ٣٢٠.

(٤٠) عن صفة أوضاع شبه الجزيرة العربية عقب أحداث الحرب العالمية الأولى انظر: الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، ص٢٧-٤٠.

(٤١) صحيفة أم القرى السنة الأولى العدد (٢٥) في ١٣٤٣/١١/٢٠هـ الموافق ١٩٢٥/٦/١٢م.

الغلاء، وتتجمد دورة رأس المال(٤٢). وقد أدرك الملك عبدالعزيز ذلك، فعمد إلى تحقيق الأمن والعناية بالحجاج، وعمل منذ دخوله مكة المكرمة على توجيه قوافل الأغذية إليها، وأصدر أمره على التجار بمنع احتكار البضائع لرفع أسعارها، مما لقي صدًى طيبًا لدى الأهالي الذين انتهزوا هذه الفرصة، وبدؤوا في تكريس جهودهم لخدمة ضيوف الرحمن، بشكل أفضل مما كان في العهود السابقة(٤٣).

وانطلاقاً من اهتمام الملك عبدالعزيز بربط مكة المكرمة بالمناطق والمدن المجاورة لتعود عليها بالنفع، فقد اهتم بإعادة فتح الطرق المؤدية إليها، وعمل على تطويرها، فازدادت الحركة التجارية نشاطاً. وعمل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م على تشكيل لجنة من مجلس الشورى للنظر في أمور التجارة، وخفض الرسوم الجمركية على البضائع كالأرز والدقيق، ومنح امتياز تسيير السيارات بين مكة المكرمة وجدة على أن يتم لاحقاً تشكيل شركة مساهمة وطنية لها يشارك فيها المواطنون. ولم يكتف بذلك فنجده يقوم بجولات ميدانية لتفقد أسواق مكة المكرمة(٤٤)، فانعكست آثار تلك الأعمال خيراً على تطور الحركة التجارية بها، مما جعل أهلها يتجهون إلى الإفادة من تطور موارد البلاد في مجال الزراعة والثروة الحيوانية والصناعات البسيطة ثم المتقدمة(٤٥).

وفي الفترة المعاصرة لأحداث الحرب العالمية الثانية التي احتدمت خلال الفترة ١٣٥٨-١٣٦٥هـ/ ١٩٣٩-١٩٤٥م(٤٦)، عانت مكة المكرمة

---

(٤٢) الزهراني، ضيف الله بن يحيى وعادل بن محمد نور غباشي، تاريخ مكة المكرمة التجاري، ط١، (مكة المكرمة: الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة، ١٤١٨هـ)، ص٥٢.

(٤٣) صحيفة أم القرى، السنة الأولى، العدد التاسع ١٣٤٣/٧/١٢هـ الموافق ١٩٢٥/٢/٦م، العدد العاشر ١٣٤٣/٧/١٩هـ الموافق ١٩٢٥/٢/١٣م.

(٤٤) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ١، ص٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٣، ٧٤، ٨٣،.

(٤٥) الزهراني، تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٥٢-٥٥.

(٤٦) لاوند، رمضان، الحرب العالمية الثانية عرض مصور، ط٧، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص٢٤، ٥٧٩، ٥٨٤، ٥٨٥.

من نقص الواردات وقلة الموارد المالية(٤٧)، وبفضل الله تمكنت المملكة من اجتياز تلك المرحلة بكل ثقة إلى أن يسر الله اكتشاف البترول وتصديره بكميات إلى الخارج، فأثر ذلك على الحركة التجارية وتطورها، ولم يكن الأمر قاصراً على مكة المكرمة، وإنما شمل مختلف مدن المملكة، فبدأت الواردات تزداد عما كانت عليه من قبل، وبدأت حركة رأس المال في النمو، لوجود السيولة النقدية الخاصة بالصرف على مصالح الدولة وعلى إقامة المشاريع(٤٨)، فنهضت التجارة بمكة المكرمة إلى درجات لم تصل إليها من قبل، وكان من آثار ذلك نمو الأعمال التجارية والمنجزات الصناعية لتشمل تجارة الساعات والحلي والمواد الغذائية ومزارع الدواجن، وظهور البنوك(٤٩). ونتج عن ذلك تطور عمراني في البلد الحرام. وهذا ما سنتتبعه في الفقرة التالية.

ثانياً: التطور العمراني

أ - امتداد النسيج العمراني بمكة المكرمة:

قدّم إبراهيم رفعت الذي حج سنة ١٣٢٥هـ تحديداً تقريبياً لمساحة مكة المكرمة في عهده بقوله: "مكة... طولها من الشمال إلى الجنوب ميلان، وعرضها شرقاً من جبل أبي قبيس إلى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد، يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة، ومع كون عرضها دون طولها يقطع في زمن أكثر مما يقطع في الطول، وذلك لوجود أماكن على تلال في كل من جانبيها"(٥٠).

---

(٤٧) الكردي، محمد طاهر، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط١، (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، الأجزاء من ١-٤ عام ١٣٨٥هـ، والجزءان ٥، ٦ عام ١٤١٢هـ)، ج٥، ص١٦٠.

(٤٨) الزركلي، شبه الجزيرة، جـ٢، ص ٦٩٠، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧٠٩. ولمزيد من المعلومات عن جهود الملك عبدالعزيز في تطوير موارد البلاد والإفادة من النفط ليعود بالخير على المملكة بإذن الله انظر: عسه، معجزة فوق الرمال، ص٣٢٨-٣٦٣.

(٤٩) الزهراني، تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٥٦-٦٠.

(٥٠) رفعت، مرآة الحرمين، جـ١، ص٢٧٨.

ومع نهاية العصر العثماني يرجح أن عمران مكة المكرمة قد تخطى منطقة بئر طوى إلى ما يُعرف حالياً بالبيبان(٥١).

وبالنظر إلى ذلك على خارطتي مكة المكرمة التي أعدت إحداهما عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م، والأخرى عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٨م يظهر أن النسيج العمراني بمكة المكرمة قد زادت سعته في عهد الملك عبدالعزيز، حيث أخذت المدينة في الامتداد عبر بطون الأودية والشعاب، وازداد العمران في سفوح الجبال، وبدأت المساكن تعم حي المعابدة إلى الأبطح ووادي الصدر في الجهة الشرقية، ويبرز فيها قصر المعابدة الملكي وقصر الأمير (الملك لاحقاً) فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وفي الجهة الغربية امتد النسيج العمراني ليشمل أحياءً جديدة لتشمل منطقة جبل الكعبة، والتنضباوي، والهنداوية، أما في الشمال فامتد العمران ليتخطى ريع الكحل وصولاً إلى منطقتي الزاهر والشهداء، وبرز فيها مستشفى الملك عبدالعزيز، ودار الضيافة، وبستان الشهداء. وفي الجهة الجنوبية عم العمران المسفلة وشمل الجبال المطلة على أجياد، وبدأت تظهر على الخارطة شوارع المدينة بشكل واضح يبرز تطورها في العهد السعودي عما كانت عليه الحال من قبل.

وقد تحدث السرياني عن ملامح ذلك التطور بقوله: "لقد كانت المدينة المقدسة خلال هذه الفترة مثلاً للمدينة الإسلامية التي تلتف حول مركزها الديني (الحرم الشريف)، وعُرفت بأزقتها العتيقة الضيقة التي تصب من جميع الجهات في اتجاه المسجد الحرام، إضافة إلى الأسواق التي انتشرت من حول الحرم لخدمة الحجاج. ولكن حدودها لم تشهد توسعاً كبيراً عما كانت عليه في السابق، غير أن ملامح التغيير بدت واضحة، فلقد أدى ظهور السيارات في مدن المملكة عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م إلى توسيع الطرق الرئيسة خصوصاً في مكة المكرمة التي أصبحت تقصدها قوافل السيارات المستمرة،

---

(٥١) غباشي، المنشآت المائية، ص٤٧، ٤٨.

خصوصاً في أيام الحج، مما دعا إلى توسيع كثير من الطرق الرئيسة، إضافة إلى بدء السكان في تعمير الأراضي الخارجية للمدينة بدلاً من التكدس في الحارات القريبة من الحرم، التي ضاقت بالكثافة السكانية العالية. وتبع هذا الانتشار السكاني انتشار كثير من المدارس في أنحاء مكة المختلفة سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م إضافة إلى ظهور مساجد الأحياء، وإنشاء المستشفيات العصرية لرعاية السكان والحجاج. ولقد كان لظهور الإسمنت والخرسانة المسلحة أثر كبير في ظهور الكثير من القصور والفلل الراقية في أطراف المدينة"(٥٢).

كما تحدث الفارسي عن مظاهر التطور العمراني في ذلك العهد بقوله: "نمت مدينة مكة المكرمة في الاتجاهات التي لا تعترضها جبال، من خلال الفتحة المعروفة بجبل الكعبة إلى حارة الباب وجرول في اتجاه الشمال الغربي، ومن خلال المعلاة إلى السليمانية والحجون والجميزة والمعابدة في الشمال الشرقي، وإلى المسفلة في الجنوب. وكانت عمارة البيوت في هذه الأحياء امتداداً للعمارة القديمة، واتباع أساليبها وخاماتها من أحجار الجبال والطين المنجرف مع السيل، وكانت الأحياء الجديدة - في ذلك الوقت - امتداداً لتخطيط الحارة واستعمالاتها والواجهات المنكسرة عليها، وكانت اتساعات الأزقة بما يكفي لمرور الجمال أو الحمير في اتجاهات مطالع الجبال...

وهذه الفترة (١٣٧٥-١٣٨٤هـ/ ١٩٥٥-١٩٦٤م) شهدت بدايات التخطيط بالمعنى المبدئي، وورود عمال فنيين من خارج المملكة، وظهور أنماط مستوردة من العمارة مخالفة للعمارة القديمة المتوارثة، وقد شهدت هذه المرحلة ظهور أحياء جديدة في الناحية الغربية والشرقية والجنوبية وهي الأحياء المعروفة حالياً بالأسماء الآتية: الطندباوي والملاوي وامتدادات المسفلة إلى الجنوب. وقد شهدت هذه المرحلة

---

(٥٢) السرياني، محمد محمود، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري (الكويت: قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦م)، ص٢٧.

ظهور الشوارع المتسعة والعمارات متعددة الأدوار ذات البلكونات، واستعمال الأدوات الصحية والمواسير بدلاً من نظام القصبة، وكذلك مواد البناء الجديدة؛ الأسمنت والطوب الأسمنتي أو المحروق... وشهدت هذه الفترة أيضاً ظهور طراز خاص من العمارة القديمة في تغطية الفتحات بالخشب، واستعمال العقود على الفتحات والأبراج بديلاً عن البلكونات، بالإضافة إلى استخدام المواد الحديثة من الأسمنت والجبس والتحليات بالزهور والورود المرسومة، كما استعيض في بعض المباني عن الخشب في ستر شرفات البلكونات بتحليات من الجبس المشغول بفتحات، واستخدم في بعضها نظام القصبة وفي بعضها الآخر نظام الصرف الصحي الحديث. ومن أمثلته بيت البوقري عند مدخل مكة المكرمة من ناحية جدة وبيوت أخرى منتشرة في العتيبية والمعابدة والزاهر وأجياد والقرارة"(٥٣).

ب - العناية بتخطيط وتطوير المشاعر المقدسة والطرق:

حظيت المشاعر المقدسة في مكة المكرمة وما حولها: عرفات ومزدلفة ومنى والمسعى(٥٤) بعناية عظيمة، علاوة على العناية بالطرق التي تصل ما بينها، ويعد رصفها وتعبيدها وتهيئتها للسكان والوافدين من أهم وسائل تسيير الحياة في البلد الحرام، ونتتبع ذلك بما يأتي:

- **عرفات**: حظيت بعناية كبيرة، وظهر ذلك في الاهتمام بتخطيطها، وتوجيه حجاج بيت الله الحرام يوم الوقوف إلى النزول بها في أماكن محددة، لتسهيل معرفة منزل كل فريق، وتنظيم مرور الناس ومنع تزاحمهم، وهو يتضمن أيضاً تحديد مسار شوارعها(٥٥).

---

(٥٣) فارس، محمد سعيد، التكوين المعماري والنمو الحضري لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية، ط١ (المملكة العربية السعودية: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص٦٦-٦٨.

(٥٤) لمزيد من المعلومات عن حدودها وموقعها من مكة المكرمة انظر: غباشي، المنشآت المائية، ص٨، ٩.

(٥٥) صحيفة أم القرى، السنة (١١) العدد (٥٤٩) في ١٩/٣/١٣٥٤هـ الموافق ٢١/٦/١٩٢٥م.

- **مزدلفة:** تم إصلاحها وتعبيدها مع عرفات ومنى، حيث تمت معاينة حاجتها إلى الإصلاح والإعمار، ورفع تقرير عنها إلى جلالة الملك عبدالعزيز عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م؛ فأمر بدفع مبلغ سبعين ألف ريال سعودي من حسابه الخاص، للبدء في إعمار المشاعر المقدسة، وتحقق ذلك بفضل الله(٥٦).

- **منى:** في عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م أمر الملك عبدالعزيز بفتح أربعة شوارع في منى؛ منعاً للازدحام أيام الحج، ووجه إلى أن يخصص أحدها للمشاة، وآخر للشقادف (التي تحمل على الجمال)، وثالث للبهائم، ورابع للسيارات والعربات، وقد تمكنت أمانة العاصمة من تنفيذ المشروع، وتمت تسمية أحد الشوارع الجديدة في منى باسم الملك عبدالعزيز(٥٧).

وتوالت أعمال الإصلاح والتطوير في منى وكان منها توجيهه - رحمه الله - رواداً للكشف عن أماكن صالحة لفتح طريق واسع يربط مكة المكرمة بمنى وعرفات إضافة إلى الطرق المعروفة، ويمر من خارج منى منعاً للازدحام الشديد الذي كان يحصل في الطرق القديمة(٥٨). وفي سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م أعلنت أمانة العاصمة المقدسة عن الرغبة في تعمير الأماكن الخربة في منى، ووجهت أصحاب تلك الأماكن إلى الاهتمام بتعميرها خدمة لحجاج بيت الله الحرام، وأعدت لجنة لمتابعة ذلك، والكشف على تلك الأماكن كافة، وتحديد خرابها ونفقات ذلك(٥٩).

---

(٥٦) صحيفة أم القرى السنة (٢٠) العدد (٩٨١) في ١٦/١٠/١٣٦٢هـ الموافق ١٥/١٠/١٩٤٣م.

(٥٧) صحيفة أم القرى السنة (٥) العدد (٢٤٩)، دارة الملك عبدالعزيز الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص٢٢٦.

(٥٨) صحيفة أم القرى السنة (٣) العدد (١٤٢) في ٦/٣/١٣٤٦هـ الموافق ٢/٩/١٩٢٧م.

(٥٩) صحيفة أم القرى السنة (١٥) العدد (٧٢٣) في ٣٠/٨/١٣٥٧هـ الموافق ١٤/١٠/١٩٣٨م.

ونشر في عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م خبر عن عناية الحكومة بالطرق الرئيسة للحج جاء فيه: "يعرف الجميع مبلغ اهتمام الحكومة براحة حجاج بيت الله الحرام، وعمل كل ما يوفر لهم أداء مناسكهم في رفاهية ودعة، ومن أول ما فكرت الحكومة في مستهل هذا العام، العناية بالطرق الرئيسة للحجاج، وأهمها على الإطلاق طريق عرفات الذي لا يستغني عن سلوكه وارتياده كل حاج قادم إلى هذه البلاد. لذلك فقد قررت الحكومة في هذا الصدد بعض المشاريع المهمة، وفي مقدمتها:

أولاً: فتح طريق فرعي لمرور السيارات الخالية بين مكة وعرفات.

ثانياً: إكمال تعبيد مدرج منى الذي عمل من قبل، وهو المدرج الواقع خلف الجمرة الكبرى ورصفه بالأسفلت وتمشية ذلك إلى مسافة كبيرة.

ثالثاً: فتح شوارع فرعية في عرفات، ورصفها بالأسفلت على ألاَّ يقل عرض الشارع الفرعي عن ١٨ متراً، وسيكون من فوائد هذه الشوارع تنظيم الخيام، والإقامة والحركة في عرفات، بحيث يسهل الكثير من وسائل الراحة، والتنقل، والارتياد في ذلك الوادي الفسيح الذي يضم يوم الحج ألوف الحجيج، وما يصطحبهم من أدوات الركوب من دواب وسيارات وغيرها"(٦٠).

كما أوضحت هذه الصحيفة في عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م جانباً من ملامح أعمال التطوير والإصلاح في عرفات ومزدلفة ومنى بما نصه:

"في عرفات: إنشاء خط رئيس جديد مسفلت بعرض تسعة أمتار من عرفة ماراً بالأخشبين فمزدلفة فمنى، وذلك ليكون مخصصاً فقط للسيارات المحملة النازلة من عرفات بعد النفرة (وتم) إكمال

---

(٦٠) صحيفة أم القرى السنة (٢٣) العدد (١١٤٢) في ١٣٦٦/١٠/٢٤هـ الموافق ١٩٤٧/١/١٧م.

الطريق المسفلت ابتداءً من منتهى الأزفلت حتى مقهى عرفات منحرفاً شمالاً فغرباً إلى أن يتصل بالأسفلت فيما دون جبل الرحمة، مع إصلاحه في كافة جوانبه ونواحيه إصلاحاً تاماً، وذلك ليكون مخصصاً فقط لمرور السيارات الخالية العائدة إلى عرفات من بعد النفرة. (وتم) إحداث وعمل الطرق الفرعية اللازمة في ساحة عرفات نفسها، وسفلتتها كلها، وذلك لتسهيل اتصال جميع هذه الطرق الفرعية المتقاطعة بالطريق الرئيس العام.

في مزدلفة: سفلتة جميع هذه الطرق الفرعية المتقاطعة، لتسهيل اتصال كل منها بالطريق الرئيس العام.

في منى: فتح طريق من الجبل الواقع خلف جمرة العقبة بمنى، وذلك لإيجاد وتيسير طريق خاص بالذاهب للرمي وطريق خاص بالعائد بعد الرمي وتم سفلتة الشارع العام بمنى"(٦١).

ويظهر مما سبق مدى العناية والتنظيم التي حظيت بها مشاعر عرفات ومزدلفة ومنى، ومنهج التفكير في استغلال الطرق لوظائف محددة.

رصف وإنارة وتجديد سقف شارع المسعى:

معروف أن هذا الشارع العظيم الممتد من الصفا إلى المروة من شعائر الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ اللَّه فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(٦٢). وبذلك فقد شكل هذا الشارع أهمية كبيرة للمسلمين، نظراً لسيرهم على أرضه، وقد رأى الملك عبدالعزيز أن رصف أرض هذا الشارع، سيحقق الراحة للمسلمين في أدائهم لشعيرة السعي، فأمر في سنة

---

(٦١) صحيفة أم القرى السنة (٢٩) العدد (١٤٣٦) في ١٣/٢/١٣٧٢هـ الموافق ٣١/١٠/١٩٥٢م.

(٦٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٨.

١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بتنفيذ ذلك، وتشكلت لجنة لهذا الغرض، وأوصت بأن يكون فرش شارع المسعى بالحجر الصوان المربع، وأن يبنى بالنورة، وعلى هذا ابتدأ العمل بهدم النواتئ التي كانت على ضفتي شارع المسعى، ثم عملوا في الرصف، وأتمّوه في أواخر شهر ذي القعدة للسنة نفسها التي صدر فيها الأمر(٦٣)، وبذلك أصبح شارع المسعى في غاية الاستقامة وحسن المنظر، واستراح الناس من الغبار الذي كان يثور نتيجة سير الناس على التراب، فكان هذا أول شارع رصف بمكة المكرمة، وأول رصف للمسعى من الصفا إلى المروة منذ فرض الله تعالى على المسلمين الحج. وكان الملك عبدالعزيز أول من اهتم برصفه(٦٤).

وفي سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م أمر الملك عبدالعزيز بتجديد سقيفة المسعى بصفة محكمة لتقي المسلمين حرارة الشمس، وقد تم إنجاز ذلك العمل، وسجل تاريخه في نقش كتابي على نحاس طوله أربعة أمتار وعرضه متر واحد(٦٥).

الطرق:

نظراً لأهمية العناية بالطرق الداخلية وتعبيدها لتسهيل مرور الناس من الأهالي والوافدين في البلد الحرام، فقد ظهرت العناية بذلك منذ السنوات الأولى من حكم الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة، كما ظهرت الحاجة عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م إلى العناية بالطريق الممتد من جرول إلى المعابدة، وذلك بإزالة النواتئ والدكاك والمظلات التي

---

(٦٣) باسلامه، حسين بن عبدالله، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، ط٣، (جدة: تهامة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٣٩٥، ٢٩٦، قاضي، سهيل بن حسن، دور الملك عبدالعزيز في إعمار بيوت الله في مكة المكرمة، (جدة: مجلة المنهل، العدد ٥٥٥، المجلد ٦٠، العام ٦٤، شوال ١٤١٩هـ/ يناير، فبراير ١٩٩٩م)، ص٦٥.

(٦٤) الكردي، التاريخ القويم، ج٥، ص٣٥٧، قاضي، دور الملك عبدالعزيز في إعمار بيوت الله، ص٦٥.

(٦٥) الكردي، التاريخ القويم، ج٥، ص٣٥٦.

أقامها الناس بتعديهم على طريق المسلمين؛ مما تطلب تبني قرار بإزالة التعديات كافة عن الشوارع بتدرج، وهذا ما يسهم في توسعتها، ويسهل مرور الناس عبرها(٦٦)، وقد تتابعت الأعمال في ذلك، وكان منها عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م إزالة الدكاك والمظلات البارزة عن سمت الشارع الرئيس في القشاشية وسوق الليل، ومنها عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، وعام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م(٦٧).

وتواصلت أعمال الإصلاح والتجديد والتطوير في شوارع البلد الحرام والطرق المؤدية إليه؛ لتشمل التعبيد والتوسيع والرصف والإنارة والتشجير، وفتح طرق جديدة نتتبعها بما يأتي:

التعبيد والسفلتة وفتح طرق جديدة:

في ١٨/١٢/١٣٤٣هـ الموافق ١٠/٧/١٩٢٥م وردت الأخبار بوصول سيارة إلى مكة المكرمة قادمة من رابغ؛ مما يشير إلى احتمال قيام أعمال لتسهيل الطريق، وفي شهر شعبان عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م، تم الإعلان عن الفصل بين خط سير الجمال، وخط سير السيارات بين مكة المكرمة وجدة، وذلك بتخصيص مسار لكل منهما، وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م تم الانتهاء من إصلاح الطريق بين مكة المكرمة والطائف، وبدأت السيارات في السير عليه دون مشقة(٦٨)، وفي العام نفسه أيضاً تتابعت أعمال إصلاح وتعبيد طريق مكة المكرمة - جدة، ثم صدر أمر الملك عبدالعزيز متضمناً الإسراع في إصلاح طريق العبادي لراحة حجاج بيت الله الحرام وهم في طريقهم إلى عرفات، وتواصلت الجهود لإصلاح طريق خاصة لسير السيارات، وهي في

---

(٦٦) صحيفة أم القرى السنة (٣) العدد ١١٤ في ١٥/٨/١٣٤٥هـ الموافق ١٧/٢/١٩٢٧م.

(٦٧) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص١٥٣، ١٥٤، ٢١٥، ٢١٦، ٣٩٥، ٤٩٨، ٥٠٩.

(٦٨) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص٥٠، ٥١، ١٢٩، ١٤٨، ١٤٩.

طريقها من مكة المكرمة إلى العمرة(٦٩). ونتيجة للخراب الذي أصاب طريق مكة المكرمة - الطائف في موضع بين الشرائع والسيل، فقد لقي الناس مشقة وتعباً عظيمين؛ مما تطلب الإسراع في إصلاحه وتعبيده تأميناً لراحة المسافرين، وقد تحقق ذلك عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وأصبحت السيارات تسير عليه بكل يسر وسهولة(٧٠).

ونظراً لأهمية الطريق بين مكة المكرمة وجدة في تنقل سكان بلد الله الحرام والحجاج والزوار، فقد تواصل العمل في إصلاحه وتعبيده، وكان من ذلك ما تحقق في شهر شعبان سنة ١٣٥١هـ/ ديسمبر ١٩٣٢م. وفي عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م تم افتتاح الطريق بين مكة المكرمة وأبها من خلال بيشة، وإصلاح طريق السيل - الزيمة بعد تأثره من السيول(٧١).

وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م تم إعداد مشروع لتخطيط مكة المكرمة، وطبعي أن يكون ذلك منطلقاً لأعمال الإصلاح والتطوير في شوارعها التي نالت أعمالاً إصلاحية عدة، منها إصلاح الطريق بين باب مكة المكرمة إلى جرول وإصلاحات أخرى في الطرق عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م. وتم افتتاح شارع الأمير فيصل الذي قامت ببنائه مديرية الأوقاف العامة عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م(٧٢).

---

(٦٩) صحيفة أم القرى السنة (٣) العدد (١٥٠) في ١٣٤٦/٥/٢هـ الموافق ١٩٢٧/١٠/٢٧م، السنة (٤) العدد (١٥٥) في ١٣٤٦/٦/٨ هـ الموافق ١٩٢٧/١٢/٢م، السنة (٤) العدد (١٦٤) في ١٣٤٦/٨/١١هـ الموافق ٢/٢/ ١٩٢٨م.

(٧٠) صحيفة أم القرى، السنة (٧) العدد (٣٤٧) في ١٣٥٠/٣/١٥هـ الموافق ١٩٣١/٧/٣١م.

(٧١) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص٣٠٢، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٣٧.

(٧٢) صحيفة أم القرى السنة (١٤) العدد (٦٧٠) في ١٣٥٦/٨/٣هـ الموافق ١٩٣٧/١٠/٨م، السنة (٢١) العدد (١٠٥٧) في ١٣٦٤/٦/٢٠هـ الموافق ١٩٤٥/٦/١م، السنة (٢٣) العدد (١١٢٠) في ١٣٦٥/٩/١٩هـ الموافق ١٩٤٦/٨/١٦م.

ونال الشارع العام بمكة المكرمة من جهة قصر الأمير فيصل بالأبطح إلى جرول والزاهر عناية كبيرة، بصفته شرياناً رئيسياً لتنقل الناس والحجاج، مما جعل الأمانة تعمل على تعبيده عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م(٧٣). وفي عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م تم فتح طريق كدي وسفلتته، وتعبيد شارع المنصور، وإيصاله بطريق كدي، وتوطئة ريع الحجون في قمته أربعة أمتار، وسفلتته حتى يلتقي خط الأسفلت في الشارع العام في جرول(٧٤). ومن المشروعات التي كان يجري العمل فيها وقت ١٣٧٢/٦/١٣هـ الموافق ١٩٥٣/٢/٢٧م(٧٥):

١ - افتتاح طريق من حوض البقر (العزيزية) إلى جبل ثور ومنه إلى ريع كدي بالمسفلة.

٢ - توطئة ريع كدي وتعبيده وسفلتته.

وفي يوم الجمعة ١٣٧٢/٨/٣هـ الموافق ١٩٥٣/٤/١٧م تم الإعلان عن العمل في فتح شارع الفتح عبر خبر جاء فيه: "إن حكومتنا السنية جريا على عادتها في المبادرة إلى الموافقة على المقترحات الرشيدة، والمشروعات المفيدة للبلاد وسكانها، ولا سيما ما يؤدي إلى راحة الحجاج وطمأنينتهم في أداء شعائرهم الدينية، قد وافقت على مشروع فتح شارع الفتح الجديد الذي تقدم به إليها سعادة أمين العاصمة المقدسة، وهو ينفذ من مشعر المروة إلى شارع المدعى العام. وقد بدأت أمانة العاصمة - فعلاً - صباح أمس في عمليات فتح هذا الشارع الجديد، الذي سيخفف الضغط عن الحجاج والعمار، ولا سيما في موسم الحج، ويمنع به الصدام في السعي مع المنتهين منه،

---

(٧٣) صحيفة أم القرى السنة (٢٤) العدد (١١٦٤) في ١٣٦٦/٨/١هـ الموافق ١٩٤٧/٧/٢٠م.

(٧٤) صحيفة أم القرى السنة (٢٩) العدد (١٤٣٦) في ١٣٧٢/٦/١٢هـ الموافق ١٩٥٢/١٠/٣١م.

(٧٥) صحيفة أم القرى، السنة (٣٠) العدد (١٤٥٣) في ١٩٧٢/٦/١٣هـ الموافق ١٩٥٣/٢/٢٧م.

الذين ما كانوا يجدون لهم متنفساً حين انتهائهم من سعيهم، فقد صار في إمكانهم بعد فتح هذا الشارع الجديد أن ينفذوا إليه رأساً من المروة، فيستريحون ويريحون من الصدام والزحام، زيادة على ما يتوفر في هذا الشارع الجديد من الدكاكين والبسطات، التي ينتظر أن تكون خاصة بالحلاقين وباعة المرطبات والمشروبات المثلجة، مما يحتاج إليه الحجيج لتكميل نسكهم والترفيه عنهم"(٧٦).

توسيع الطرق ورصفها:

في عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م أعلنت أمانة العاصمة المقدسة عزمها على استخدام الأسفلت في رصف الشارع العام بمكة المكرمة، الممتد من المعابدة إلى جرول. وبهدف تحقيق ذلك بشكل جيد، ومنع ما قد يتعرض له الشارع من خراب لاحق، فقد تم الطلب من أصحاب المباني المطلة على الشارع تحديد مواضع المجاري الممتدة من المباني إلى الشارع العام، ليمكن على ضوئه وضع ذلك في الحسبان، وتحقيق المحافظة على الرصف الجديد، وعدم تعرضه إلى التكسير(٧٧).

وفي عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م تتابعت الأعمال لتوسيع الشوارع في البلد الحرام ومشاعره المقدسة، وكان منها توسيع شارع القشاشية العام وشارع المسعى بإزالة بعض المباني وتعويض أصحابها(٧٨)، وقد نشرت صحيفة أم القرى في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م خبراً عن ذلك جاء فيه: "كنا نشرنا فيما مضى ما قامت به أمانة العاصمة من هدم دار باناجه الذي أمام باب علي من أبواب المسجد الحرام على مفترق الطرق المؤدية إلى شارع القشاشية العام وشارع المسعى، وما يتصل

---

(٧٦) صحيفة أم القرى، السنة (٣٠) العدد (١٤٦٠) في ١٣٧٢/٨/٣هـ الموافق ١٩٥٣/٤/١٧م.

(٧٧) صحيفة أم القرى السنة (٢٣) العدد (١١٣٨) في ١٣٦٦/١/٢٦هـ الموافق ١٩٤٦/١٢/٢٠م.

(٧٨) صحيفة أم القرى السنة (٢٥) العدد (١٢٢٠) في ١٣٦٧/٩/١٧هـ الموافق ١٩٤٨/٧/٢٣م.

بها من الشوارع العامة، وقد تم هدمه، وأصبح محله في ميدان فسيح في ملتقى خطوط الشوارع والطرق المذكورة، والآن أخذت أمانة العاصمة في هدم الدكاكين الثمانية، والغرف التي كانت متصلة بدار باناجه من جهة شارع القشاشية العام، ويجري العمل في هدمها، ونقل أنقاضها من محلها بنشاط وسرعة تشكر عليهما أمانة العاصمة، التي سجلت لنفسها بعملها هذا أثراً محسوساً من آثار الإصلاح المطلوب منها في العاصمة. ولا ريب أن إزالة هذه الدكاكين والغرف مع بيت باناجه سوف يتسع به شارع القشاشية العام، ويخف به الضغط عن حركة المرور العامة للمشاة والركبان بالسيارات والدراجات وغيرها من سائر المركبات في هذا الشارع العام، الذي يعد أعظم نقطة لقوة حركة المرور المختلفة في العاصمة. وإن ذلك لمن أعظم المآثر الخالدة والأيادي البيضاء لجلالة مليكنا المعظم (الملك عبدالعزيز) على سكان هذه البلاد المقدسة والوافدين إليها من شتى أنحاء العالم الإسلامي"(٧٩).

وتواصلت الأعمال في تطوير الشوارع وتوسيعها، حيث نشرت وكالة الأنباء العربية عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م أنه قد تم إنجاز التدابير في البلد الحرام؛ لتحسين مرافقه، وتوسيع الشارع الرئيس فيه المؤدي إلى المسجد الحرام(٨٠).

الإنارة والتشجير والترقيم:

تواصلت العناية بشوارع البلد الحرام ومرافقه ومبانيه كافة، وكان من ذلك إضاءتها وتشجيرها، وقد تحقق ذلك عبر أعمال متتالية، ففي ١٣٤٤/٦/١٦هـ الموافق ١٩٢٥/١٢/٣١م تم الإعلان عن عرض

---

(٧٩) صحيفة أم القرى السنة (٢٦) العدد (١٢٦١) في ١٣٦٨/٧/١٦هـ الموافق ١٩٤٩/٥/١٣م.

(٨٠) صحيفة أم القرى السنة (٢٧) العدد (١٣٤٨) في ١٣٧٠/٤/٢٤هـ الموافق ١٩٥١/٢/٢م.

منافسة أمام رجال الأعمال، لإنارة (شوارع وأزقة) البلد الحرام، وطلب من كل من يرغب في المشاركة في هذه المنافسة لإقامة ذلك المشروع، أن يقدم عرضه، لتحقيق اختيار أفضلها(٨١). وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م قررت أمانة العاصمة المقدسة وضع (لوكسات) كهربائية في الشوارع العمومية بدلاً من الفوانيس الغازية(٨٢)، وقامت بعدد من الأعمال التطويرية لإضاءة الدوائر الحكومية بمكة المكرمة ليلاً. ثم عمل مجلس الشورى على دراسة طلب إنارة مكة المكرمة بالكهرباء في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. وانطلاقاً من العناية بتجميل البلد الحرام فقد وجهت أمانة العاصمة المقدسة أصحاب المقاهي والحوانيت إلى إضاءتها من الداخل والخارج، ثم توجت كل تلك الجهود بصدور أمر الملك عبدالعزيز بإضاءة مكة المكرمة بالكهرباء في ١٠/٦/١٣٦٩هـ الموافق ٢٩/٣/١٩٥٠م(٨٣). وفيما يخص التشجير فقد ظهرت العناية به لتجميل شوارع البلد الحرام، وتحسين الجو بتلطيف الهواء، وقد بدئ بتحقيق ذلك عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م في "شارع الحكومة الموصل إلى دار وزارة المالية، فغرس فيه قسم غير قليل من الأشجار". وفي عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م عزمت أمانة العاصمة المقدسة على القيام بأعمال مهمة لغرس الأشجار في الشوارع الرئيسة في البلد الحرام، وهو مشروع لقي كل ترحيب من الناس، ودعوة إلى تعميمه على الشوارع كافة وبتعاون الأهالي(٨٤).

---

(٨١) صحيفة أم القرى السنة (٢) العدد (٥٣) في ١٦/٦/١٣٤٤هـ الموافق ٣١/١٢/١٩٢٥م.

(٨٢) لمزيد من المعلومات عن، صفة اللوكسات والفوانيس وغيرها من وسائل الإضاءة انظر: الكردي، التاريخ القويم، ج٥، ص٢٧٣-٢٩٠.

(٨٣) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٣١٨، ٥٤٢، ٥٤٣، ٨٨٠.

(٨٤) صحيفة أم القرى السنة (١٢) العدد (٦٠١) في ٢٢/٣/١٣٥٥هـ الموافق ١٢/٦/١٩٣٦م، السنة (١٥) العدد (٧٢٤) في ٢٧/٨/١٣٥٧هـ الموافق ٢١/١٠/١٩٣٨م.

أما ما يخص الترقيم، ففي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م عزمت أمانة العاصمة المقدسة على وضع أرقام نحاسية على أبواب المنازل والحوانيت والشوارع، وتم التنفيذ عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م بدءاً من منطقة جرول فالشبيكة(٨٥).

ج - العناية بإعمار بيوت الله والمرافق العامة في البلد الحرام:

نظراً للتوسع في امتداد رقعة النسيج العمراني، والعناية بالشوارع لمواجهة زيادة الكثافة السكانية من المواطنين والوافدين على البلد الحرام؛ فقد تطلب ذلك قيام أعمال تطويرية لإعمار المسجد الحرام وتوسيعه، وإعمار وزيادة عدد المساجد في الأحياء، علاوة على العناية بالمرافق العامة، مثل: مرافق المياه والمؤسسات الحكومية، وتوفير الفنادق لاستقبال الوافدين من الحجاج والعمار.

وقد بذل الملك عبدالعزيز جهداً كبيراً في سبيل تحقيق ذلك، وأصدر أمره عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م بإعادة الطلاء في بناء المسجد الحرام، وإصلاح كل ما يقتضي إصلاحه، ثم أمر عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م بعمل مظلات قوية ثابتة مجاورة للأروقة المطلة على صحن المطاف، وأمر بإجراء أعمال الترميم والإصلاح التي استمرت بتتابع إلى وفاته عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م(٨٦).

وأولى مرافق المياه عناية كبيرة(٨٧)، فجدد بناء قنوات المياه، وتبرع من ماله الخاص، ووجه رجاله إلى إعمار قناة عين عرفة (زبيدة) في

---

(٨٥) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص٢١٥، ٢٣٩.

(٨٦) لمزيد من المعلومات انظر: السباعي، تأريخ مكة، ص٦٥٨، باسلامه، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩١، قاضي، دور الملك عبدالعزيز في إعمار بيوت الله، ص٦٤-٦٧.

(٨٧) لمزيد من المعلومات انظر: أونال، سعد الدين وسليمان بن عبدالغني مالكي، دراسة توفير المياه في المشاعر المقدسة من وجهة نظر الحجاج لحج عام ١٤٠٨هـ (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، سلسلة دراسات مركز أبحاث الحج، ١٤١٣هـ)، ص٤٧-٧٥. وعن اكتشاف آبار بالمشاعر انظر: دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص١٣٨، ١٤٠، ١٦٣، ١٦٤، ٢٢٢.

المنطقة الممتدة من وادي نعمان إلى عرفات، والعزيزية ثم باقي أحياء مكة المكرمة، فزادت كميات المياه عما كان في العصور السابقة، مما أصبحت معه القنوات القديمة غير قادرة على استيعاب الكمية الإضافية من الماء، فاتجه المعماريون إلى تعلية جانبي القنوات(٨٨)، وأمر - رحمه الله - بالعناية بالمرافق القديمة التي كانت تستعمل في توفير المياه للسكان والوافدين، كالبرك والأسبلة والبازانات(٨٩)، وأمر بإنشاء الجديد منها، فكان من ذلك إنشاؤه ثلاثة أسبلة عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م على الطريق بين مكة المكرمة وجدة: سبيل أم القرون، وسبيل حداء، وسبيل بئر المقتلة(٩٠)، وأسبلة عدة في مكة المكرمة والطرق المؤدية منها إلى المشاعر، منها سبيل في المعابدة عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، وسبيل بأجياد وبازان النقا عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م(٩١)، وسبيل على طريق عرفات، ومنهل ماء بدحلة الرشد عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

---

(٨٨) لمزيد من المعلومات انظر: غباشي، عادل بن محمد نور، جهود الملك عبدالعزيز في عمارة عين عرفة (جامعة أم القرى، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٢، العدد ٢٠، صفر ١٤٢١هـ/ مايو ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٧١٣-٧٣٠.

(٨٩) ملا قلندر، عبدالقادر، الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة (مكة المكرمة: مطبعة أم القرى، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، ص١٠-٢٠، غباشي، عادل بن محمد نور، نقش كتابي يؤرخ لعمارة بازان بمكة المكرمة في عصر الملك عبدالعزيز (الرياض: مجلة الدراة، العدد الأول السنة الحادية والعشرون. شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٥هـ)، ص١١٠-١١٩، غباشي، عادل بن محمد نور، أوقاف عين زبيدة في عهد الملك عبدالعزيز (مكة المكرمة: مؤتمر الأوقاف الأول بالمملكة العربية السعودية الذي نظمته جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، شعبان ١٤٢٢هـ)، ج٣، ص١٣٨-١٤٧.

(٩٠) لمزيد من المعلومات انظر: غباشي، عادل بن محمد نور، أسبلة الملك عبدالعزيز على الطريق بين مكة المكرمة وجدة (الرياض: مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، ١٤١٤هـ)، ص٢٠٤-٢٣٢.

(٩١) غباشي، عادل بن محمد نور، مرافق المياه بمكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز دراسة تحت الطبع.

وأنشئت المستشفيات والمستوصفات، والمؤسسات الحكومية لتقديم الخدمات التي كانت منها مراكز الشرطة(٩٢). وقد لقيت تلك الأعمال التطويرية لعمران البلد الحرام قبولاً لدى الأهالي والوافدين، فجاءت صحيفة أم القرى بالكثير من أخبار ذلك، ونشرت بها مشاهدات الكتاب، وكان منها ما ورد عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ممثلاً للمرحلة المبكرة من حكم الملك عبدالعزيز للحجاز. وقد تضمن ذلك استعراضاً لبوادر الإصلاح، وبياناً لجهوده في العناية بإنعاش البلاد، وطرقه لوسائل العمران كافة، وأمره بتأسيس المدارس، وتحسين الحالة الصحية، ورصف الشوارع وإصلاح طرق السيارات، وغيرها من الأعمال والمشاريع التي تشهد شهادة بينة بأن جلالته قد وفق في وضع أقوى أساس لانطلاقة النهضة العمرانية التي ينبغي أن تكون مثالاً حسناً لكل نهضة في جزيرة العرب.

وورد أيضاً فيما نُشر أن هذه الأعمال تدعو للغبطة والارتياح، لأنها أنهت حالة الجمود الذي خيم قرونا على المنطقة علاوة على أهميتها في إنعاش البلاد وعمرانها(٩٣).

وفي يوم الجمعة الموافق ١٣٤٥/٨/١٥هـ الموافق ١٩٢٧/٢/١٧م تضمنت صحيفة أم القرى مقالاً عن "وسائل الإصلاح والعمران" وكان مما جاء فيه: "مكة المكرمة موطن جميع المسلمين وكذلك المدينة المنورة، ولذلك كان حقاً على حكومة الحجاز وأهله أن يبذلوا وسعهم في تأمين وراحة المسلمين الذين يفدون إلى هذه الديار فهم ضيوف الله في بيته الحرام. وبحمد الله أن الحكومة تتشاور مع أهل البلاد على توفير راحة هؤلاء الوافدين

كان حقاً على حكومة الحجاز وأهله أن يبذلوا وسعهم في تأمين وراحة المسلمين

---

(٩٢) دارة الملك عبدالعزيز، الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ج١، ص ٢٠٠، ٣٢٩، ٣٨١، ٤٧٦، ٤٩٦، ٥٠٧، ج٢، ص٧٠٣، ٧٢٤، ٧٢٦، ٧٥٢.

(٩٣) صحيفة أم القرى السنة (٣) العدد (١٠٧) في ١٣٤٥/٦/٢٥هـ الموافق ١٩٢٦/١٢/٣٠م.

حتى يقضوا مناسكهم، ويرجعوا إلى أهليهم فرحين مسرورين، ولكن كما يعلم الناس كافة أن كل شيء في الحجاز كان مهملاً ويحتاج إلى إصلاح، ولابد في الإصلاح أن يكون تدريجياً يسير حسب الإمكان والظروف. ومن جملة الأشياء التي أولتها الحكومة في الحجاز اهتمامها بأمر الطرق والمعابر في سائر مدن الحجاز وبخاصة في المشاعر"(٩٤). وتتابعت المقالات والأخبار من هذه الصحيفة متضمنة معلومات عن التطور العمراني بمكة المكرمة منها مقال بعنوان "مشاريع عمرانية" في ١٣٤٨/٣/١١هـ الموافق ١٩٢٩/٨/١٦م(٩٥)، وآخر بعنوان "الإصلاحات في موسم هذا العام" بتاريخ ١٣٤٨/٥/١٣هـ الموافق ١٩٢٩/١١/١٥م(٩٦)، ومعلومات أخرى تحت عنوان "معرض الحوادث" كان مما جاء فيها عن الملك عبدالعزيز: "ومن عادة جلالته أيده الله أن يشرف في وقت الموسم على الوسائل التي اتخذت لتأمين راحة الوافدين من حجاج بيت الله، وأن يطلع على الاقتراحات التي ترفع لجلالته من الحكومة والأهلين والحجاج، ثم يعهد بعد ذلك إلى لجنة خاصة للنظر في كل هذه الأمور ودرسها وبحثها، وبعد أن تنتهي اللجنة من استقرائها وتمحيصها ترفع تقريرها لجلالته، فيصدر أمره السامي بتنفيذ ما جاء في التقرير من المشاريع خلال العام الذي يلي ذلك الموسم؛ حتى إذا جاء ميعاد الموسم المقبل، كانت الحكومة قد أتمت هذه المشاريع"(٩٧).

---

(٩٤) صحيفة أم القرى السنة (٣) العدد (١١٤) في ١٣٤٥/٨/١٥هـ الموافق ١٩٢٧/٢/١٧م.

(٩٥) صحيفة أم القرى السنة (٥) العدد (٢٤٣) في ١٣٤٨/٣/١١هـ الموافق ١٩٢٩/٨/١٦م.

(٩٦) صحيفة أم القرى السنة (٦) العدد (٢٥٦) في ١٣٤٨/٥/١٣هـ الموافق ١٩٢٩/١١/١٥م.

(٩٧) صحيفة أم القرى السنة (٦) العدد (٢٧٩) في ١٣٤٨/١١/١٣هـ الموافق ١٩٣٠/٢/١١م.

ومما جاء عن ذلك أيضاً ما كتبه الشيخ أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م تحت عنوان: "المشاريع الإصلاحية في الحجاز"(٩٨)، وما ورد بالصحيفة نفسها في عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م تحت عنوان "تقرير عام عن أعمال أمانة العاصمة ومشاريعها"، ومما جاء فيه: "هذا تقرير موجز عن الأعمال التي قامت بها الأمانة في غضون العام الحالي معتمدة في ذلك على أساسين، الأول: التدرج مع سنة التطور، وما يقتضيه من مسايرة روح الوسط، ووضعية البلاد الراهنة، والثاني: تقديم الأهم على المهم، والألزم على اللازم في المشاريع، وبالنسبة لحاجات البلاد، وما يستثمره المجموع من الفائدة والمصلحة وبالأخص أيام الموسم؛ أيام ازدحام البلاد بوفود بيت الله الحرام؛ وقد توصلت إلى إنفاذ عدة مشاريع عمرانية من الأهمية بمكان، حسبما يتسع لها الوقت وبقدر ما تتحمله مواردها المادية"(٩٩).

وفي ١٣٧٢/٥/١٣هـ الموافق ١٩٥٣/٢/٢٧م نشرت صحيفة أم القرى معلومات تفصيلية عن المشاريع العمرانية في البلد الحرام تحت عنوان: "من المشروعات الإصلاحية الكبرى التي جرى تنفيذها في هذه البلاد المقدسة"، وتناولت:

١ - مشروعات مياه الشرب لمكة المكرمة ومنى ومزدلفة.

٢ - مشروعات السد بمكة المكرمة في طريق العشر.

٣ - تعبيد الطرق بمكة المكرمة ومنى ومزدلفة، ونسف ريع الحجون بالديناميت وكذلك ريع كدي(١٠٠).

---

(٩٨) صحيفة أم القرى السنة (١٣) العدد (٦٣٥) في ١٣٥٥/١١/٢٣هـ الموافق ١٩٣٧/٢/٥م.

(٩٩) صحيفة أم القرى السنة (١٥) العدد (٧٤٠) في ١٣٥٧/١٢/٢٨هـ الموافق ١٩٣٩/٢/١٧م.

(١٠٠) صحيفة أم القرى السنة (٣٠) في ١٣٧٢/٦/١٣هـ الموافق ١٩٥٣/٢/٢٧م.

الخاتمة:

حظيت مكة المكرمة، بما لها من القداسة والمكانة السامية في قلوب المسلمين، بعناية فائقة من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - تمثلت في العديد من الأعمال والمشروعات العمرانية والتطويرية التي تعهدها بها، وشملت استتباب الأمن، وربطها بسائر مناطق المملكة. وقد تمخض عن ذلك تنامي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وازدهار التجارة، وازدياد عدد السكان فيها والوافدين إليها. وتطلب هذا بدوره تواصل العمل في تطويرها والتوسع في عمرانها، وهو ما حاولت هذه الدراسة رصد أبرز ملامحه، وتوصلت إلى النتائج الآتية:

١ - ظهر من تتبع امتداد النسيج العمراني لمكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز أنه زاد عما كان عليه في العصور السابقة، حيث امتد العمران إلى مناطق جديدة في الجهات كافة، فأصبحت ضمن نسيجه العمراني، وهي: الأبطح ووادي الصدر في الجهة الشرقية، ومنطقة جبل الكعبة والتنضباوي والهنداوية في الجهة الغربية، وريع الكحل، ثم الزاهر والشهداء في الجهة الشمالية، ومنطقة المسفلة وشمال الجبال المطلة على أجياد في الجهة الجنوبية.

٢ - تبع نمو العمران وامتداد مساحاته اهتمام وتطوير لشوارع مكة المكرمة، فتواصلت أعمال توسيع الشوارع ورصفها وإضاءتها وتشجيرها وترميمها، هذا علاوة على العناية بفتح طرق جديدة لتواكب النهضة العمرانية، ويمكن من خلالها مواجهة زيادة الكثافة السكانية المستفيدة من زيادة إعمار المساكن والمرافق.

٣ - تواصل الاهتمام بتخطيط وتطوير مناطق المشاعر المقدسة التي يقع بعضها داخل حدود حرم مكة المكرمة، ومنها ما هو خارج الحرم، وتمثل ذلك في تطوير الطرق القديمة، وفتح الجديد منها، علاوة على الاهتمام برصفها وتوفير المرافق بها.

٤ - واكب تطوير عمران مكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز اهتمام كبير بإعمار بيوت الله، وإنشاء المرافق العامة في البلد الحرام، فجاءت الأعمال المعمارية متتالية في عمارة المسجد الحرام والمساجد الأخرى، وأنشئت المستشفيات، ومراكز الشرطة، وجُددت وعمرت مرافق المياه، وغيرها مما يحتاجه السكان والوافدون، فأصبح البلد الحرام مثالاً للمدينة الإسلامية التي امتدت فيها مشاريع النهضة والتطوير لتشمل جميع الجوانب، دعماً لمركزيها الديني والحضاري.